مجلة رفوف–مخبر المخطوطات – جامعة أدرار– الجزائر_____ المجلد: 10/ العـدد: 01 (جانفي 2022) ص 306– 322
ISSN: 2335-1381 EISSN: 2602-5949 Legal Deposit: 2013-6352

نماذج من الأدب الأمازيغي باللسان الزناتي بمنطقة قورارة

Models from Amazigh Literature in Taznatit in the Region of Gurara

الدكتور: الطاهر عبو [1]
Abbou Tahar[1]
[1]جامعة أحمد دراية أدرار، tahar.abbou@univ-adrar.edu.dz

تاريخ الاستلام: 2021/09/27	تاريخ القبول: 2021/11/01	تاريخ النشر: 2022/01/25

الملخص:

يعد الأدب الأمازيغي باللسان الزناتي بمنطقة قورارة بالجنوب الغربي الجزائري من المواضيع التي لم تحظ بالبحث والدراسة الكافية بسبب شح المصادر المكتوبة. إن انتشار ظاهرة الرواية الشفوية ، ومحدودية الكتابة جعل مكونات الأدب الشعبي التي كانت تنتقل من جيل لآخر عبر الرواة والحفاظ عن طريق المشافهة، تتعرض للتشويه والتحريف وأحيانا للضياع؛ كما هو الشأن بالنسبة لقصائد تراث أهليل. يهدف المقال إلى تسليط الضوء على الأدب الأمازيغي باللسان الزناتي بكل مكوناته في منطقة قورارة. خلصت الدراسة إلى أن الأدب الشعبي باللسان الزناتي يتضمن مختلف فنون الأدب، وهناك تشابه يصل حد التطابق مع الثقافات والآداب العالمية العربية منها والغربية، خاصة في ما يتعلق بالأمثال والحكم مما يدل على أن الثقافة والأدب الأمازيغي باللسان الزناتي جزء لايتجزأ من التراث الإنساني العالمي.

الكلمات المفتاحية: تازناتيت، قورارة، الأدب، الثقافة، تقليد المشافهة.

Abstract:

Few researchers have addressed Amazigh literature in Taznati in the region of Gurara, in the southwest of Algeria. Previous work has focused on the linguistic aspect of Taznatit. This can be explained by the scarcity of written sources because of the absence of the written tradition. The prevailing phenomenon of oral tradition made of the popular culture and literature, which were transmitted from a generation to another through narrators, vulnerable to distortion and sometimes loss. The aim of this article is to shed light on the Amazigh literature in Taznatit in all its components in the region of Gurara. The research concludes that the popular literature in Taznatit includes various arts of literature and that there are big similarities with Arabic and Western literatures especially with regard to idioms, sayings and proverbs, which indicates that the Amazigh literature in Taznatit belongs to the international heritage of humanity.

Keywords: Taznatit, Gurara, Literature, Culture, Oral Tradition.

المؤلف المرسل: د. الطاهر عبو، **الإيميل:** tahar.abbou@univ-adrar.edu.dz

1.مقدمة:

إن انعدام تقليد الكتابة من جهة، والتعريب التدريجي لقبائل زناتة منذ وصول قبائل بني هلال وبني سليم وغيرها من شبه الجزيرة العربية للمنطقة في القرن الثالث عشر للميلاد من جهة أخرى، أديا إلى انحسار واضمحلال مكونات الأدب الشعبي في مناطق عدة من ڤورارة وتوات بل وصل الى حد الانقراض كما هو الحال في قصور(انظر التعليق رقم 1) توات؛ أين اختفى اللسان الزناتي تماما، ولم يبق سوى الأثر المادي، المتمثل في تسميات القصور، الدال على ان زناته عمروا تلك الديار في زمن غابر.

إن الجزء اليسير الذي تم إنقاذه من الأدب الشعبي باللسان الزناتي كان بفضل جهود مجموعة من الباحثين من أمثال مولود معمري وتلميذه رشيد بليل، حيث قام الأول بجمع وتدوين ما بقي من قصائد أهليل من أفواه من قابل من شيوخه ممن كانوا على قيد الحياة خلال زياراته العلمية الميدانية لمنطقة ڤورارة في بداية سبعينيات القرن العشرين، أما الثاني فكان له الفضل في جمع وتدوين العديد من القصص والأساطير بالإضافة إلى الأمثال والحكم والعادات والتقاليد التي تميز المجتمع الزناتي.

سنحاول في هذ المقال الوقوف على واقع الأدب الشعبي باللسان الزناتي بمنطقة ڤورارة، وذلك بعرض نماذج من قصائد أهليل للنظر في مدى التزامها بالخصائص الفنية للقصيدة الشعرية في الآداب العالمية سواء أكانت عربية أم أجنبية. في السياق ذاته سنحاول دراسة نماذج عن القصة، الأسطورة، الأمثال والحكم باللسان الزناتي ومقارنتها بنماذج مماثلة من الثقافات والآداب العالمية.

2.نبذة عن منطقة ڤورارة وساكنتها

تقع منطقة تيكورارين نحو 1300كيلومترا إلى الجنوب من الجزائر العاصمة، يحدها الاطلس الصحراوي شمالا وهضبة تادمايت شرقا والعرق الغربي غربا وتتربع على مساحة تقدر ب 24.720ميلا مربعا ,Bisson). (1983, p. 389 حسب إيف غييرمو، من الصعب اعطاء تاريخ دقيق لقدوم أول المستوطنين لمنطقة ڤورارة بسبب عدم العثور على أدلة اركيولوجية، حيث أنها اختفت بفعل عوامل مناخية(Guillermou, 1993, p. 122). بالرغم من ذلك، فقد سجلت محاولات لإيجاد إجابات على هذا السؤال، فحسب ألفرد جورج مارتن؛ فإن منطقة ڤورارة تكون قد استوطنت من طرف سكان من السود في تجمعات صغيرة في شكل قصور ذات غالبية من البربر الرحالة، ثم بعد ذلك وصل فوجين من المهاجرين الى المنطقة. الأول وصل من تينجيتان(انظر التعليق رقم 2) قبيل الميلاد، والثاني وصل من برقة أو سيرنايكا كما كانت تسمى قديما وهي اقليم شرق ليبيا، وذلك بين القرنين الثاني والرابع الميلاديين.

1.2. أصل تسمية ڤورارة

بالنسبة لاصل تسمية المنطقة بڤورارة، هناك بعض المصادر تشير إلى أن أصل التسمية عربي وهو مشتق من قرارة بفتح القاف والتي تعني الاستقرار أو الاستيطان بمكان ما .(Bisson, Gourara, 1999, p. 3189) بينما يقول روبرت كابوراي Robert Capot Reyأن أصلها من "قرارة" بتسكين القاف وتجمع على "قرابر" وهي اسم لمنطقة بصحراء موريتانيا وتعني المنخفض أين يتجمع الماء وتكون الأرض خضراءً طوال السنة.(Bisson, 1983, p. 3190)أما ليو افريكانوس وابن خلدون فيستعملان تسمية تنكورارين أو تيڤورارين للإشارة للمنطقة التي تضم ڤورارة، تسابيت وتمنطيط باعتبارها نقاطا لانطلاق القوافل التي كانت تنشط في إطار التجارة العابرة للصحراء.(Bisson, Gourara, 1999, p. 3190) ويقول عنها حسن الوزاني (ليون الأفريقي) في كتابه 'وصف إفريقيا': " تيڤورارين (بالبربرية تيڤورارين تعني المخيمات وتم تعريب الكلمة لتصبح 'ڤورارة') هي منطقة مسكونة في صحراء نوميديا، تبعد بحوالي 120 ميلا إلى الشرق من تسابيت، ويوجد بها حوالى خمسين قصرا وأكثر من مائة قرية وسط واحات من النخيل."(Leon l'Africain, 1980, p. 436) وحديثا حاول مولود معمري من خلال أبحاثه ايجاد علاقة بين تيڤورارين وهي الجمع المؤنث لكلمة "أڤرور"أو "أڤرو"(انظر التعليق رقم 3) والتي تعني المخيم وهذه الفرضية قريبة من الطرح الذي جاء به فيليب مارسي خلال التحقيقات التي قام بها بمنطقة ميزاب سنة 1954، حيث توصل الى أن ڤورارة مشتقة من قرارة بفتح القاف وتعني الاستيطان باعتبار أن الاستيطان يبدأ بالمخيم. وحسب السعيد بوطرفة فإن أصل كلمة ڤورارة مشتق من "تيڤورارين" وأصلها من الفينيقية أو الوندالية مشتقة من كلمة قور وتعني الجبل أو التلة على غرار يما قورايا الجبل الشهير ببجاية، إذن فإن ڤورارة أو تيڤورارين تعني منطقة التلال. في السياق ذاته، يقول الباحث محمد السالم بن زايد: "إنما ڤورارة مشتقة من *أڤرو* جمع *ايڤورة* وهي البيوت التي تحيط بها الكثبان الرملية على غرار قصور طلمين اجديرات وزاوية الدباغ، ومأخوذة من كلمة *تاڤرا* وهي البيوت المكونة من نبات القصب ومجمل القول أن ڤورارة تعني المنخفض في وسط المرتفع".(بن زايد، 2021)

2.2. أصول قبائل زناتة

يتحدث ابن خلدون عن خمسة بطون تشكل القبائل الأمازيغية وهي : صنهاجة– مصمودة زناتة –هوارة وغمارة وكانت في القديم تستعمل لغة واحدة تسمى أوال أمازيغ أي الكلام النبيل، وكان تواجد هذه القبائل على رقعة جغرافية شاسعة تمتد من واحة سيوة بمصر شرقاً إلى جزر الكناري غرباً ومن الضفة الجنوبية للمتوسط شمالاً إلى شمال دول إفريقيا جنوب الصحراء جنوباً. كما تطرق ابن خلدون بالتفصيل الدقيق لاشتقاق تسمية زناتة وفروع هذه القبائل ومناطق استقرارها خاصة تيكورارين(ابن خلدون، 2001، الصفحات 77–82). في السياق ذاته يقول محمد

بن عميرة حول أصل تسمية زناتة: "لم يُعثر على اسم زناتة مع أسماء القبائل الأمازيغية التي وُجدت في كتب المؤرخين القدماء، من يونان ورومان و بيزنطيين، على أنه عثر على كتابة في منطقة شلف وأخرى بشرشال تدل على أن هذه التسمية كانت موجودة ببلاد المغرب في العصر الروماني، وكانت تطلق على شخص هو كلوديوس زناتوس Claudius Zenatus وهو حسب Tauxier ينتسب إلى قبيلة زناتة".(بن عميرة، 1984، صفحة 15).

3. التعريف بتراث الأهليل

وهو عبارة عن قصائد منظومة باللسان الزناتي مع استعمال كلمات عربية بسبب التعايش اللغوي بين زناتة والقبائل العربية وما نجم عنه من تأثير وتأثر بين الزناتية والعربية. للإشارة فإن بداية تدوين هذا التراث كانت مع بداية السبعينيات حيث استعملت الحروف اللاتينية في البداية ثم الحروف العربية بعد ذلك. وعلى الرغم من عدم تناول كُتاب المخطوطات قصائد أهليل في موضوعاتهم إلا أن هذا التراث لم ينقرض واستمر لقرون عدة ينقل من جيل الى جيل عبر تقليد المشافهة. برغم هذا الصمود الذي استمر طويلا إلا أنه عرف انكماشا واضمحلالا في الستينيات وبداية السبعينيات من القرن العشرين حتى كاد ينقرض، وذلك بسبب ما اعتراه من الإهمال والنسيان بفعل تحولات اجتماعية وسياسية طبعت المجتمع الجزائري آنذاك. في هذا المقام، من المنصف القول أنه لولا جهود الباحث مولود معمري الذي يرجع له الفضل في إنقاذ تراث أهليل من الانقراض(انظر التعليق رقم 4)، حيث وصل في الربع ساعة الأخير لينتشله من مخالب الضياع، لما صار إلى ما هو عليه اليوم. ولا نبالغ في شيء إذا قلنا أنه بفضل جهود هذا الرجل تم تصنيف أهليل ضمن التراث العالمي غير المادي للإنسانية من طرف اليونسكو وذلك بتاريخ 25 نوفمبر 2005. هذا الانجاز تلاه ترسيم المهرجان السنوي لأهليل من طرف وزارة الثقافة سنة 2006(الجريدة الرسمية، 2006) بتيميمون (انظر التعليق رقم 5).

سنحاول في المحور الأول عرض الأبعاد الاجتماعية لتراث أهليل من خلال أغراضه الشعرية المتنوعة والتي تشمل المسائل المتعلقة بالزواج، الغزل بنوعيه الماجن والعفيف، الحث على التعفف والاستغناء عن الناس، إشاعة قيم التسامح بالإضافة الى مدح أهل الجود والكرم، كما تناولت أغراضه أيضا الإشارة إلى بعض الآفات الاجتماعية كالظلم وفساد ذات البين. دائما في سياق موضوعات قصائد أهليل، يرى السعيد بوطرفة أنها مرتبطة بالبيئة القاسية لقبائل زناتة والتي كانت تطبعها فترات عصيبة كالمجاعة والحروب بالإضافة إلى المناخ القاسي، وبالرغم من ذلك فإن موضوعات التغني بالجمال والأشياء الجميلة في الطبيعة كان أيضا حاضرا وبقوة في قصائد أهليل(Bouterfa, 2007, p. 9).

من خلال قراءة تحليلية لقصائد أهليل نكتشف مدى غزارة هذا التراث بالأغراض الشعرية التي ترتبط بكيان المجتمع الزناتي الضاربة جذوره في أعماق التاريخ، يقول في هذا الصدد بيار أوجيه: "قليلة هي القصائد التي لا تتناول موضوعات عن الموت ومشاق الحياة ويفسر ذلك بالبيئة القاسية التي نشأ فيها تراث أهليل" (Augier, 1986, p. 314) وسنعرض في ما يلي بعض القيم الاجتماعية التي تغنى بها تراث أهليل وحثَّ عليها في قصائده.

4. الأبعاد الاجتماعية لتراث أهلّيل

1.4. المسائل المتعلقة بالزواج:ما ورد في قول الناظم (بن زايد، إزلوان ن تيڤورارين، 2012، صفحة 9)

ما نك إيي يغنى ويملكن وا يلمد أورى يطس غ بيران يالد تيجناو ايد تيمدوكال

بمعنى كيف يرى الغنى و السعادة من يقدم على الزواج دون أن يتعلم قواعده و متطلباته، فهو كمن ينام في العرى يصاحب النجوم والسحاب ويقصد بذلك استحالة ادراك السعادة الزوجية لان المشبه به هو تلك النجوم التي تظهر في آخر الليل وما تلبث أن تتلاشى بمعنى أن صاحبها يطيل السهر حتى تظهر تلك النجوم، والمشبه به الثاني السحاب يريد من خلاله القول أن مصيره كمن يصاحب السحاب أو يجعل منه هدفا وهو هدف لا يمكن ادراكه.

2.4 الغزل: تناولت قصائد أهليل غرض الغزل بنوعيه العفيف والماجن.

1.2.4. الغزل العفيف: كما ورد في قصيدة "آرسول سيدي الله مولانا" في قول الناظم (بن زايد، إزلوان ن تيڤورارين، 2012، صفحة 9):

خسغ شم و الفغ شم أم باهدا إيتيعضغ لتوالفيي ليغ و الفخت أم باهدا ليغ والفخت

في هذا يصف العاشق معشوقته ويشبهها بالرداء الذي ألف لبسه وفيه أيضا وصف دقيق لمدى تطابق الهوى بينهما كمن يرتدي ثوبا على مقاسه.

2.2.4. الغزل الماجن:كما ورد في قصيدة 'اللاجانو' في قول الناظم (بن زايد، إزلوان ن تيڤورارين، 2012، صفحة 19):

اتيفاخاتين ايو انورامت

اللاجانو تصا اد ووري

ميشك عاشرغ ابعيد ناكي

سيدي قادة أو بيحي

أوشبيد يلليك

إقن نهار امَو اديموت بونادم

اديقيم ايحيربولفعايل وحدو

3.4. الحث على نفع العباد: كما ورد في قصيدة "آ لمولاي اعلي حبيبو جبريل" حيث يقول الناظم في مطلع المقطع الرابع (فولاني، 2014، صفحة 143):

الشجرة المولوعة لالة يا تاظاحت ايڤاإيڤ و تلىَ ينغبن بابنس

تيفراي إيتيلي تاغججت ايولڤون ڤوم ميوايلي و يظيض ايمندي

بمعنى: أيتها الشجرة الزاهية، سيدتي شجرة التين أو كما تعرف في المنطقة بالكرمة، البستان الذي لا توجد به مغبون صاحبه حيث أن كلها منافع ويعددها في الآتي:

ثمارها غذاء للإنسان، أوراقها علف للنعاج، ومن أغصانها نصنع مقبض الفأس، وأيضا مقبض الرحى، إذ إن لم يكن بها لا يمكن طحن الزرع، وهي الصورة التي ينبغي أن يكون عليها الإنسان حسب الناظم.

4.4. التخاذل عن نصرة المظلوم والوقوف إلى جانب صاحب المال والجاه ولوكان ظالما

تم تشخيص هذه الآفة الاجتماعية في المجتمع الزناتي حيث تطرق لها الناظم في قصيدة " الصلاة على محمد الهاشمي" في قوله (فولاني، 2014، الصفحات 101-102):

تيدت موشوميات و يتينـاَن أد احير

شري تواننـي لا يخادع مازيغنس

ويـڤدن إي ربـي أتينـــي يزمـــــاياس

ويمزڤرات أوغيلنس اديمـود الباطل

ويمڤزل مسكيـــن الحڤنـــس اس ارام

اولـى مي يسِول بيدَن ڤاع اتلشيـــن

أس إينين امشي انت كالبوهـــــالي

إيـودان ديودان حيـــرغ سلعبنـــس

ومعنى ذلك أن أصحاب الأيادي الطولى يفعلون في المجتمع ما يشاؤون وأصحاب الأيـــــادي القصيرة والمقصود بهم الضعفاء والمساكين تضيع منهم حقوقهم، وإذا تكلموا لم يجدوا آذانا صاغية ويُنعتون بالدراويش، ومن يقول كلمة الحق يضع نفسه في مأزق إن لم يكن قادرا على مرافقتها بالقوة.

بالنظر إلى تمسك المجتمع الزناتي بالإسلام وبقيمه السمحة وأخلاقه الرفيعة فإن الإشارة إلى وجود هذه الآفة يوحي بأن القصيدة ربما تكون قد نظمت في وقت مبكر من وصول الإسلام إلى المنطقة، حيث لم تكن قيمه قد ترسخت في المجتمع بعد (عبو، 2017، صفحة 100).

5.4. مدح أهل الكرم والجود: جاء ذلك في قصيدة "سيدي الجيلالي شايل الله وبه" حيث يشبه الناظم البيت المفتوح لاستقبال الضيوف بالمسجد حيث يطيب فيه المقام ويقول الناظم بهذا الخصوص:(بن زايد، إزلوان ن تيقورارين، 2012، صفحة 20)

تيداح ن لجـــــواد أم تمسقيـــدة ويظولن يقيـــم بيبي لكتابنس

ميديوسو وقرين أستوش الصوابنس ميد توسوتقرينت أتاف الصوابنس

مي ديسو سيدي الله يعمـــــرها دار شريف الجيـــــلالي شايل الله به

في اطار الإشارة إلى الآفات الاجتماعية نجد في قصيدة "شفيعنا رسول الله يا" تنبيها إلى مسألة فساد ذات البين وانعزال خيار القوم عن الناس بسبب خشيتهم من الوقوع في الفتن، حيث عبر الناظم عن ذلك في البيتين التاليين (بن زايد، إزلوان ن تيقورارين، 2012، صفحة 38):

العام ن سڤاسو مانك ايقبيح

يسمنغو طاعوا د لوالدين

ليسمنغ لجـــــــواد نميدَن

لا اله إلا الله لا اله إلا الله

وفي البيتين يصف العام بالسيء لما يحمله من أمور مؤسفة كالنزاعات بين الأولاد ووالديهم، وأيضا بين خيار القوم، ليأتي بعبارة التوحيد في عجز البيت الثاني مكررة وفيها توكيد لفظي عسى الله أن يهدي الجميع.

5. الأبعاد الدينية لتراث الأهليل

من خلال دراسة تحليلية لعدد كبير من قصائد أهليل يمكن القول أن جلها يتناول مسائل دينية كالتوحيد، الصلاة على النبي، الحض على العبادات، تفكر الموت والآخرة ، الإشادة بالعلماء والصالحين وذكر الأنبياء السابقين، بر الوالدين، التوبة والاستغفار والذكر. في هذا السياق يقول بيار أوجيه: "أن بعض القصائد تحمل

إيحاءات لبعض الأنبياء والرسل كموسى وعيسى وسليمان، وهذا دليل على تأثير الديانتين اليهودية والمسيحية على هذا التراث من خلال تواجدهما بالمنطقة قبل مجيء الاسلام".(Augier، 1986، صفحة 314) قد لا يكون هذا الدليل كافيا باعتبار أن الإسلام في حد ذاته يدعوا إلى احترام الأنبياء والرسل لأن مصدر الديانات السماوية واحد وبالتالي ليس بالضرورة أن يكون للديانتين اليهودية والمسيحية تأثير على تراث أهليل.

كما يلاحظ أن معظم ما نُظم من تراث أهليل في المواضيع الدينية هو بكلمات عربية بلمسة زناتية وذلك لتعايش الثقافتين البربرية والعربية (عبو، التعايش اللغوي بالجنوب الغربي الجزائري: الزناتية و العربية بمنطقة قورارة أنموذجا، 2020، الصفحات 190–192)، وأيضا بسبب اقتناع قبائل زناتة بالإسلام الذي يعتبِر اللغة العربية أساسية في ممارسته، إلا أن اللغة المستعملة هي لغة عربية عامية بسيطة يفهمها عامة الناس. وفي ما يلي نماذج من هذه الأغراض الشعرية:

1.5. التوحيد: يقول الناظم في قصيدة "سيدي الجيلالي شايل الله وبه" (بن زايد، إزلوان ن تيقورارين، 2012، صفحة 20)

امنا بالله واحد وحدو لا شريك معاه ربي سبحانه

يلاحظ ان كل الكلمات المستعملة في هذا البيت عربية بسيطة لا تحتاج إلى شرح، كما يلاحظ أيضا التأثير الكبير للعربية في تراث الأهليل.

2.5. الصلاة على النبي: كما ورد، على سبيل المثال لا الحصر، في قصيدة "اللهم صلي على سيدنا محمد" (فولاني، 2014، صفحة 84) حيث يقول الناظم في مطلعها:

بسم الله ابديت الصلاة صلاة والسلام على نبينا

أدوحدغ شرى ويلان أجنّا قلعرش

نفس الملاحظة يمكن تسجيلها في هذا البيت من حيث استعمال الكلمات العربية، ويمكن القول أن أكثر من ثلثي الكلمات المستعملة في الخطاب الديني عموما وفي الأغراض الشعرية ذات الأبعاد الدينية خصوصا؛ هي عربية.

3.5. التذكير بالموت والآخرة: كما ورد في قصيدة "النبي صلى الله عليك" حيث يقول الناظم في المقطع الثاني منها (بن زايد، إزلوان ن تيقورارين، 2012، صفحة 13)

الموت المـوت أيـــــــوم الكشفا أيوم الندامـا

ايضين ايديوسو ملك الموت غـــا النبي أتيـاوي

يذكّر الناظم بالموت وما بعدها من حشر وعرض وما يترتب على ذلك من ندامه لمن لم يدخر لآخرته حسنات تنجيه في ذلك اليوم الذي وصفه بيوم الفضيحة والندامة. وفي البيت الثاني يعود الناظم إلى وصف لحظات وفاة النبي محمد صلى الله عليه وسلم عندما جاءه ملك الموت ليقبض روحه الطاهرة.

4.5. الحض على العبادات: وردت في قول الناظم في قصيدة " أرسول أسيدي الله مولانا أعلم" (بن زايد، إزلوان ن تيقورارين، 2012، صفحة 18):

ويلي أق ألينو بلى الذكر كل يـوم — اد خمسة صلوات اد الهيغ أتظاليغ

تظاعنين أد تاكظين نجيبهم محققين — تيسمسين غا لمام ايد لبلوغ نالصلا

ربعة فرض آيـــــد تينييصت — نجيـــب ثلاثـــة سُنّـــــــة

الشـفعي د الـــــــوتـري — هـــدي تجـــارة لا خـــرة

ركعتـاين ن غـــــــوري — من سعـد وي تنت ايتظـــالان

ركعتاين لفجر آيد الدعا غ النبي — ركعتاين ايلفرض بالنية هو الصبح

يتناول الناظم في هذه الأبيات تعلقه بأداء الصلوات الخمس وحرصه على أداء صلاة المغرب في الجماعة وهذا بعد انتهائه من العمل في البستان باعتبار أن غالبية الناس كانت تشتغل في البساتين في الزراعة حيث عادة ما ينتهي العمل مع غروب الشمس. كما يتحدث عن بعض النوافل كركعتين في جوف الليل (التهجد) ويا سعادة من يوفقه الله لأدائها وأيضا ثواب صلاة الصبح في وقتها.

5.5. التوبة و الاستغفار: كما ورد في قصيدة "*ارسولنغ ايد النبي* " حيث يقول الناظم (فولاني، 2014، صفحة 94):

بســـــــم الله الحمـدو — و الشكـــر لله انتوبـو

ا توبا عليا يا ربي و هديني — و بغيـــت التـــوبة

أرسولنغ يولي غـــــربي — لفرحـــناس قاع الصوحابة

مجمل معنى الأبيات يدور حول التوبة وطلب الهداية والرغبة في زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم.

6.5. بر الوالدين:

كما ورد في قصيدة "لله أيارسول لحبيب محمد" حيث يقول الناظم (فولاني، 2014، صفحة 154):

غفر ياربي دنوب ن بيمـــــــا — ياجينـــو بما أوشيـــــد تلـميحت

لَوشيغاكت أَمّي تحجبشك ترعاشك — أكقيـــق أغجـــا أكتقيق أمنســي

توسييي تسع شهور كالبدنـــــنس تصوضضييي عاماين اس لحليب الصافي

نش ميت وا طوعَـغْ اسم اينو أيـد اوتمـسي الله يارسول لحبيب محمـــــــد

يبرز هذا المقطع طاعة الوالدين من خلال طلب المغفرة للأم خاصة، تماشيا مع الحديث النبوي الشريف، عندما سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أحق الناس بحسن الصحبة فأجابه أمك ثلاث مرات وفي الرابعة قال أبوك، هذ الخصوصية هي بسبب ما عانته الأم خلال فترتي الحمل والرضاعة من مشاق مما يوجب طاعتها، وينبه الناظم إلى خطورة عقوق الوالدين في أنه سبب دخول النار.

6. الادب الشعبي باللسان الزناتي

يضم الأدب الشعبي كافة ألوان التراث الشعبي كالقصص والأساطير، الاحتفالات والطقوس الشعبية، الأمثال والحكم والفوازير وسنحاول عرض نموذج أو أكثر عن كل لون من هذه الألوان.

1.6. القصص والاساطير(تونفيسين tunfisin):

تزخر منطقة ڤورارة بالعديد من القصص والأساطير، البعض منها جمعها رشيد بلّيل في كتابه "قصور ڤورارة وأولياؤها الصالحون في المأثور الشفهي والمناقب والأخبار المحلية" حيث ورد في الصفحة 397 القصة رقم 82 المعنونة ب"من البحر إلى الصحراء"، جاء فيها:

"**كان هناك بحر في كل مكان و كانت جميع الأراضي مغمورة. لمّا قدم الأولياء، قرروا إفراغ ڤورارة من هذا الماء. شرب سيدي موسى ربعا، و سيدي الحاج لحسن ربعا، و سيدي عباد ربعا، و سيدي الحاج بلقاسم ربعا**".(بليل، 2008، صفحة 397)حتى جفت الأرض وأصبحت قابلة للعمران.

وهناك قصص تُروى للتسلية وأيضا لمعالجة بعض الآفات الاجتماعية كالطمع والغش وغيرها كقصة" الدَّا عفا وحمارته" dda εafa d taryult-nnes وقصة الدَّاعلاَّ وابنته العانس dda εella d yelli-s iburen والخنفساء والفأر maεemi taẓliẓt d ureḥda

هناك أيضا قصص من الأدب الشعبي تتناول طرائف حول غباء وحماقة قبيلة آت علاَّ ، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر أنه ذات مرة زار شخص من قبيلة آت علاّ قرية مجاورة لهم واستضافه رجل وقدّم له حساءً لذيذا فلما فرغ منه، سأله عن كيفية تحضيره ليقوم بتحضيره بنفسه لسكان قريته عند عودته إليهم. أعطاه الرجل طريقة تحضير الحساء، فلما عاد الى قريته قرر أن يعزم كل سكان القرية على وجبة حساء بالقمح البلدي المعروف محليا ب'زنبو'، بعد أن لاحظ أن القدر لا يكفي لتحضير الكمية الكافية من الحساء، أستشار كبار القرية، وبعد أن تداولوا المسألة، أتفقوا أن يتم تحضير الحساء في حوض تجميع الماء بالبستان والمعروف بالمتغيرة اللسانية الأمازيغية

المحلية ب 'تيجنت' tigent. وضعوا الدقيق والتوابل في حوض الماء الكبير وبدأو بتحريكها، فيما انشغل مجموعة من الرجال في اشعال النار في مكان تصريف مياه الحوض والذي يسمى باللسان الزناتي 'أنفيف' anfif. في تلك الأثناء حط عصفور جنب الحوض ليشرب. أنقض عليه أحد الرجال وقام بنتف ريشه وهو حي ورماه داخل الحوض. بدأ العصفور بالصفير من الألم، أمسك به الرجل مرة ثانية ولوى عنقه وأعاده داخل الحوض، وهو يقول 'إن الصفير خلقه الله فيك' ظل سكان القرية ينتظرون وجبة الحساء اللذيذة الى ساعة العصر لكن دون جدوى حيث اختفى الدقيق والتوابل في الماء وخمدت النار بعد أن نفذ الحطب وانصرف الناس بعد ما أنهكهم الجوع من طول الانتظار(دحان، 2021).

2.6. الاحتفالات و الطقوس الشعبية:يعد الاحتفال بدخول السنة الفلاحية من أهم الاحتفالات الشعبية بمنطقة ڤورارة. حسب رواية الحاج عبد القادر الكبير أحد أعيان قصر آت سعيد الذي يبعد بحوالي 20 كيلو متر شمال غرب تيميمون، فإن هذا الاحتفال يكون في بداية شهر *أوزديي أن امُاس* ويصادف الثاني عشر من يناير في التقويم الغريغوري، ويعبر هذا الاحتفال عن ارتباط الإنسان بالأرض كمصدر رزقه حيث تقام طقوس احتفالية تميزها الفرحة باستقبال عام جديد يتم في يومه الأول إعداد طبق الكسكس بالقمح المحلي ومرق يحتوي على قليل من كل شئ أخضر في البستان بما فيها النخلة، حيث يوضع قليل من سعفها بالقدر وفي هذا رمزية تعني التفاؤل بالحصاد الوفير في الموسم الفلاحي. يتميز أيضا بذبح الأضاحي وإقامة الولائم، وهناك بعض العائلات تقوم بترك الكتف الأيمن للشاة عند الاحتفال بموسم الحرث والبذر، وهو ما يسمى في المنطقة بتوبر، يقومون بترك الكتف الأيمن للشاة بعد تجفيفه ليقدم على أطباق الكسكس قديداً، وهذه العادة لها رمزية تتمثل في ربط المناسبتين بجزء من الأضحية. لأن المناسبة الثانية أي الاحتفال بدخول السنة الفلاحية يحمل دلالات عن نجاح الموسم الفلاحي من عدمه، من خلال الظروف المناخية المصاحبة له وهو مرتبط بقوة بالمناسبة الأولى التي هي الاحتفال بتوبر موسم الحرث والبذر لأن نجاح الثانية من نجاح الأولى.

أما رشيد بلليل فيقدم رواية تختلف بعض الشئ عن رواية الحاج عبد القادر الكبير حيث يقول أن الاحتفال بالناير في منطقة ڤورارة يتميز بإقامة الأفراح الكبرى ومن أهم الطقوس التي تميزه هي التبرك بذبح أسمن خروف في القصر بعد أن يشتريه أحد الأعيان في مزاد علني قد يصل ثمنه إلى 9 قلبات (انظر التعليق رقم6) أي حوالي 90 كيلو غرام من الحبوب. يحرر في ذلك عقد بيع بحضور الشهود ويحتفظ به المشتري حيث يعبر عن مكانته من بين الأعيان وأصحاب الجاه في المجتمع. يذبح الخروف وتقام وليمة يحضرها أعيان القصر، وتقام حولها جلسات الصلح بين المتخاصمين، وتتخذ ايضا حولها القرارات الهامة والمصيرية للقرية أو القبيلة.

تقول رواية أخرى أن الاحتفال بتوبر عند زناتة ڤورارة يعتمد على عادة لها علاقة وثيقة بالطبيعة في ظل عدم وجود وسائل حساب وحدات الزمن كالساعة واليوم والشهر، فقد كانوا يملأون جرة بالسمن ويتركونها ليلة كاملة في العراء حتى يتجمد السمن ثم تغرز فيه نواة تمر بحيث يبقى نصف النواة ظاهرا فوق السمن ثم توضع في حجرة ليتم مراقبتها كل يوم عند الفجر، وبمجرد ما تبدأ النواة في الميلان والانغماس في السمن فإن ذلك يعني أن السمن بدأ في الذوبان أي أن الجو تغير باتجاه الحرارة، وهو مؤشر على دخول السنة الجديدة، وتستقبل النسوة اليوم الأول من السنة الأمازيغية بالزغاريد وضرب الدفوف، وتتزين النسوة بالحناء إيذانا بخروج أيام البرد الشديد حيث يوزع اللبن على أفراد العائلة فرحاً باستقبال أيام الدفء. بالنسبة للفلاحين لهم طقوسهم الخاصة بهذه المناسبة حيث يقومون بجمع محصول البصل ويقومون ببذر الباسيلا واليقطين والبطيخ بأنواعه وتسمى بالزناتية *تابحيحت*"، يقومون أيضا بغرس شتائل النعناع العشبة التي لا تفارق الڤورارريين طوال السنة بحيث يقومون بتجفيف وتخزين فائض الإنتاج منها في الصيف لاستهلاكه في الشتاء.

3.6. الامثال والحكم: نورد في مايلي بعض الأمثلة مع الترجمة

– تايَسّنْ أَغْيول إتوتّوت ن قيرفة ta yessen aɣul I tuttut n lqerfa

الترجمة: "ماذا يعرف الحمار لأكل القرفة" ويطلق على الشخص الذي لا يدرك قيمة الأشياء الثمينة أو المفيدة

– أدَڤْمو أَدِ بان قْ تيجنت ad igmu ad iban g tijent

الترجمة: "يكبر ويظهر في حوض الماء" ويطلق على الحث على عدم استعجال معرفة أمر ما، حيث أن الزمن كفيل بإظهاره عندما يحين وقته.

– مي تغيب تزيري اد جهرن إتران mi tɣib taziri ad ğehren itran

الترجمة: "عندما يغيب القمر تظهر النجوم"، يطلق هذا المثل على ظهور وتألق الناس العاديين عند غياب الأشخاص المهمين.

– نغل أمان (قْ) غا وخبو أد يفغ مادس إللانnɣel aman ɣa waḫbu ad iffeɣ ma-d-s illan

الترجمة: "أسكب الماء في الجحر يخرج ما به"، يطلق هذا المثل عند استعجال معرفة شيء ما فنقوم بشيء ما لتحفيز حصوله. هذا المثل مستوحى من الطبيعة، فعندما نجد جحرا ونريد معرفة ما بداخله فإننا نسكب فيه ماءً، وبمجرد فعل ذلك فإن الذي بداخله يخرج مسرعا.

– إيني يي داحدُوا امدّوكلنك ، آك انيـغ داحدّوا شـك

- Inni-yi daḥeddu ameddukel-nnek, ak-inniɣ daḥeddu cek

قل لي من صاحبك اقول لك من انت،

ويقابلها في المعني في الأدب الإنجليزي: Folk of a feather flock together

- إيمهدي يدا يشتها اينيو إيمهدي يموت اوڤلناس ازيوا
- Imehdi yedda yecha ayniw, imehdi yemmut uglen-as aziwa

يقابلها باللسان الدارج في الثقافة الجزائرية: كي كان حي مشتاق تمرة كي مات علقوا لو العرجون.

- يش أكب حاز آكب، Yecc akeb ḥaz akeb -

يقابلها في الثقافة المحلية باللسان الدارج:كولشوية وخبي شوية، تقال هذه الحكمة في سياق الحث على عدم التبذير والادخار لوقت الحاجة.

- آقلاّل ان تموحت وآيصّرو Aqellal n tmuḥt wa yeṣru -

يقابلها في الثقافة و الأدب العربي، المثل: زمار الحي لايطرب

- ماني سد غاك تكّو تيمسي اينّو تكّاد أغلي سڤ مينو
- Mani seg ɣa-k tekku timsi-inu tekkad ɣel-I seg yimi-inu

هنا يسأل التنور: من اين اتتك النار؟ يجيب: اتتني من فمي. بمعنى أن جل المصائب تأتي من اللسان. في هذا السياق يقول الشاعر:

أمسك لسانك أيها الإنسان ليلدغنك إنه ثعبان

كم في المقابر من قتيل لسانه كانت تهاب لقاؤه الشجعان

4.6. الفوازير:

- أوتفغْ إيڤانو القيغ تيطاوين تيزڤاغين utfeɣ iga-nu tiṭṭawin tizeggaɣin

الترجمة: "دخلت بستاني (وجدت) عيونا حمراوات" الحل:الفلفل الأحمر= أيد تيفلفلين les piments (Bellil, 2006, p. 192)

- أوتفغْ إيڤانو القيغ تيطاوين تيبحكانينutfeɣ iga-nu tiṭṭawin tibeḥkanin

الترجمة: "دخلت بستاني وجدت عيونا سوداوات" الحل: شجرة التين = أيد تاظاحت le figuier(Bellil, 2006, p. 192)

- تازلميت تجْبدْ أفيغا = tazelmit tjbed afiɣa

الترجمة: "السحلية تسحب الثعبان" le lézard tire le serpent(Bellil, 2006, p. 192)

(c'est la clé dans la serrure)الحل: المفتاح في القفل = آيد الساروت ڤالزكروم

7. خاتمة

من خلال دراستنا للأدب الأمازيغي باللسان الزناتي بمنطقة ڤورارة تم الوقوف على النتائج التالية:

أولا: عدم وجود تقليد الكتابة أثر سلبا على الإرث الحضاري لأهل المنطقة، حيث فشل تقليد المشافهة في نقل التراث اللامادي من جيل إلى آخر وإلى مناطق أخرى خارج ڤورارة مع إضفاء قيمة مضافة تطبع الأجيال المتعاقبة وتجعل من تلك الحضارة أكثر غنى وثراء على غرار ما حدث في مناطق أخرى كغرب إفريقيا أين توجد مخطوطات تدل على عراقة حضارة كانت خلال قرون خلت وهي حاضرة الآن من خلال ما تركته من آثار مكتوبة في شكل مخطوطات ونحوت وبنايات أثرية وما الى ذلك، لكن ما حصل لحضارة وتراث منطقة ڤورارة وخاصة غير المادي منه أنه انكمش على نفسه وتآكل واندثر.

ثانيا: معظم ناظمي قصائد تراث أهليل مجهولين، ولعل هذه النقطة تتطلب البحث والدراسة للوقوف على أسباب هذه الظاهرة.

ثالثا: الجمع بين الأفكار المتباينة في قصيدة واحدة، ما يؤدي أحيانا إلى الإخلال بالترابط العضوي ولعل قصيدة " سيدي الجيلالي شايل الله أو بيه" مثال حي على ذلك حيث تبدأ بالصلاة على النبي ثم تنتقل إلى التوحيد والإيمان بالله، لتتناول بعد ذلك بعض القيم الإيجابية من خلال ذكر فضائل أهل الجود والكرم، لتنتقل إلى غرض آخر مختلف تماما، ويتمثل في الغزل. ليمر الناظم بعدها إلى مواضيع ذات صلة بالأنشطة الاقتصادية فيتحدث عن التجارة والفلاحة ليختم القصيدة بالعودة إلى الدعاء وطلب الخير.

رابعا: قصائد أهليل مليئة بالإشارات إلى شخصيات قيادية وزعامات روحية وأولياء الله الصالحين، كما ورد في قصيدة "ماما لعزاري" حيث ذكر الناظم أزيد من اثنين وعشرين وليا(بن خالد، 2017، الصفحات 47-48) نذكر على سبيل المثال سيدي اعمر والمعني هو سيدي عومر صاحب زاوية سيدي عومر بأوقروت، والذي ينحدر من قبائل الأنصار بشبه الجزيرة العربية، أيضا سيدي موسى والمسعود مؤسس سوق سيدي موسى بتيميمون وقصر تاسفاوت، التي كانت تمثل العاصمة الروحية لسكان ڤورارة وهو ينحدر من سلالة الشيخ مولاي عبد القادر الجيلاني، وسيدي الحاج بلقاسم الذي ينحدر من سلالة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه (Djouli, 2007, p. 63) وهناك العديد من الشخصيات وكل يحمل دلالات معينة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالمنطقة وسكانها.

خامسا: خلو قصائد أهليل من الكلمات الأجنبية غير العربية، وخاصة الفرنسية رغم تعايش الثقافتين الزناتية والفرنسية من خلال التواجد الفرنسي إبان فترة الاستعمار، إلا أن هذا التعايش لم يكن له تأثير على الزناتية على غرار تأثر الأمازيغية بالفرنسية في بعض مناطق الشمال، ولعل سبب انعدام هذا التأثر راجع إلى التمسك الشديد لقبائل زناتة بالإسلام، حيث كانوا ينظرون إلى من يستعمل الفرنسية (لغة الرومي حسب تعبيرهم) كأنه خارج عن الملة، وهي تستعمل حتى الآن في بعض مناطق ڤورارة للإشارة إلى السلوكيات الدخيلة على المجتمع.

سادسا: بالنسبة للحكم والأمثال، نلاحظ أن معظمها متداول في ثقافات وآداب أخرى كالثقافة والأدب العربي والثقافة والأدب الغربي، وهو ما يدل على أن الثقافة والأدب الزناتي جزء لا يتجزأ من الحضارة الإنسانية العالمية.

سابعا: هناك عزوف تام للنخبة المثقفة من أمازيغ منطقة ڤورارة عن الإنتاج الأدبي باللسان الزناتي، حيث لم تسجل أي محاولة في هذا الإطار إذا ما استثنينا تدوين قصائد أهليل بالحرف العربي من طرف بعض الوجوه البارزة بالمنطقة من أمثال الحاج البركة فولان وهو أحد شيوخ تراث أهليل والباحث محمد السالم بن زايد الذي قام بالإضافة إلى تدوين مجموعة من قصائد أهليل بإنتاج قاموس للمفردات الزناتية بالحرف العربي. ويبقى البحث عن أسباب هذا العزوف قائما لإيجاد الحلول، وبالتالي تشجيع النخبة على الإنتاج والإبداع باللسان الزناتي للحفاظ على الهوية الأمازيغية للمنطقة من جهة، وإثراء الساحة الفنية والأدبية من جهة أخرى.

التعليقات

1. قصور هي جمع كلمة قصر وهي تعني اصطلاحا في هذا السياق و باللهجة المحلية قرية أو دشرة وليس بمعنى المسكن الكبير الفخم
2. مقاطعة رومانية تقع شمال غرب افريقيا، في المغرب حاليا. عاصمتها كانت تسمى تينجيس، من الكلمة البربرية تينجي وهي مدينة طنجة حاليا.
3. أقرور بالمتغيرة اللسانية الأمازيغية القبائلية، بينما أقرو بالمتغيرة اللسانية الأمازيغية الزناتية إختفاء حرف الراء في آخر الكلمات المفردة و استبداله بحرف الحاء و ظهوره في صيغة الجمع أمر تتميز به الزناتية. مثال على ذلك تمورت بالقبائلية تقابلها تموحت بالزناتية و تعني البلد, وقد تختفي الراء في نهاية الكلمة المفردة لتظهر في صيغة الجمع كمثال على ذلكز إقا و تجمع على إقران و تعني بساتين.

4. مولود معمري ولد في 28 ديسمبر 1917 بقرية تاوريرت ميمون ببلدية آيت يني بالقبائل .وهو أديب باحث في اللسانيات و الأنثروبولوجيا شغل عدة مهام منها مدير مركز الأبحاث الأنثروبولوجية و العرقية لما قبل التاريخ من سنة 1969 إلى 1980 توفي في 26 فيفري 1989
5. بالنسبة لأصل تسمية تيميمون حسب السعيد بوطرفة فإنها سميت على مؤسسها وهو بربري اعتنق اليهودية واسمه ميمون وأضيفت لها البادئة "تين" والتي تفيد الملكية لتصبح تين ميمون أي بلدة ميمون.
6. قلبات هي جمع لكلمة قلبة و تعني باللسان المحلي وحدة وزن تستعمل لكيل الحبوب و التمور و تساوي تقريبا عشرة كيلوغرام

قائمة المراجع:

الجريدة الرسمية. (2006). قرار وزاري متعلق بترسيم المهرجان الوطني لأهليل. *الجريدة الرسمية رقم 13*، 13-17.

الطاهر عبو. (2017). الأبعاد الاجتماعية و الدينية لأهليل من خلال مجموعة من القصائد. تأليف أحمد جولي، *ديوان الأهليل نشيد ڤورارة الأزلي* (الصفحات 97-105). الجزائر: دار الكتاب العربي.

الطاهر عبو. (2020). التعايش اللغوي بالجنوب الغربي الجزائري: الزناتية و العربية بمنطقة *ڤورارة* أنموذجا. *رفوف https://www.asjp.cerist.dz/en/article/128656*، 179-198.

بركة فولاني. (2014). *من ديوان الأهليل، الجزء الأول*. تيميمون: إصدارات الجمعية الثقافية تيفاتزيري للمحافظة على الأصالة و التراث.

رشيد بليل. (2008). *قصور ڤورارة وأولياؤها الصالحون في المأثور الشفاهي والمناقب والأخبار، ترجمة عبد الحميد بورايو*. الجزائر: المركز الوطني للبحوث في عصور ماقبل التاريخ والأنثروبولوجيا و التاريخ.

عبد الرحمن ابن خلدون. (2001). *تاريخ ابن خلدون، الجزء السابع*. بيروت: دار الفكر.

عبد الكريم بن خالد. (2017). أهليل: تأملات روحية ومسارات تاريخية ضمن التراث الڤوراري. تأليف أحمد جولي، *ديوان الأهليل نشيدڤورارة الأزلي* (الصفحات 40-50). الجزائر: دار الكتاب العربي.

محمد السالم بن زايد. (2012). *إزلوان ن* تيڤورارين. الجزائر: محافظة المهرجان الثقافي الوطني لأهليل.

محمد السالم بن زايد. (15 6, 2021). أصل تسميةڤورارة. (الطاهرعبو، المحاور)

محمد بن عميرة. (1984). *دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي*. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

نورالدين دحان. (20 6, 2021). قصص و أساطير من ڤورارة. (الطاهر عبو، المحاور)

Augier, P. (1986). Ahellil. In A. B. Ghaniya, *Ahaggar* (pp. 313-315). Aix-en-Provence: Peeters Publishers.

Bellil, R. (2006). *Textes Zenetes du Gourara.* Alger: CNRPAH.

Bisson, J. (1983). De la mobilité des terroirs à la stabilisation de l'espace utile l'exemple du Gourara (Sahara Algérienne). *Annuaire de l'Afrique du Nord*, 389-400.

Bisson, J. (1999). Gourara. Dans Gland, *Encyclopédie Berbere* (pp. 3188-3198). Aix-en-Provence: Edisud.

Bouterfa, S. (2007). *Ahellil ou Louanges du Gourara.* Alger: Editions Coloeset.

Djouli, A. (2007). *Le S'bouà de Timimoun Louanges et Etendars, Traduction Said Bouterfa.* Alger: Editions Colorset.

Guillermou, Y. (1993). Survie et Ordre Social au Sahara Les Oasis du Touat-Gourara-Tidikelt en Algérie. *Cahier des Sciences Humaines*, 121-138.

Jean-Leon, L. (1980). *Description de l'Afrique.* Paris: Librairie d'Amérique et d'Orient, Adrien Maisonneuve.